الكيان البشري مكوّن من سبعة أجسام باطنية

د. جوزف مجدلاني في حوار حول «الأنا» الفردية:

لعل أكثر ما يشغل رجال الفكر وعلماء النفس والاطباء النفسانيين الموضوع الاكثر غموضاً ألا وهو «الأنا» او الشخصية الفردية او سمّها ما شئت. وهذا الالتباس يعود الى عدم معرفة المرء بحقيقة هذا الواقع، الواقع الذاتي الكامن في أعماقه، ذلك لأن الانسان عامة بعيد عن وعي نفسه، وعن مكوناتها وخفاياها.

ومن اجل معرفة حقيقة «الأنا» التقينا مؤسس مركز علوم الإيزوتيريك في لبنان والعالم العربي الدكتور جوزف مجدلاني وصاحب الكثير من المؤلفات في هذا المجال.

واستهللنا الحوار معه بالسؤال التالي:

■ مقصد حديثنا هو النفس البشرية وما خفي فيها من أمور، وما يعتمل فيها من غوامض.. وكون الإيزوتيريك العلم المتخصص في دراسة الخفايا البشرية وبواطن الكيان الإنساني.. نلجأ إليه لنستوضحه بعض الأمور عن النفس والشخصية والذات والأنا! فما هي حقيقة هذه الأبعاد في الكائن البشري؟

– الإيزوتيريك يبحث في الخفايا لأنّ الحقيقة لا تكمن في الظاهر، بل في الباطن! وهو يعتمد أسلوب المقارنة حيناً، وأسلوب الدراسة الذاتية حيناً آخر. لكن في كلا الحالين، لا يقبل بغير التطبيق العملي وسيلة إلى النتائج المتوخاة! فكل معرفة، بالنسبة إليه، تبقى مجرّد معلومة إلى أن تتمّ تجربتها والتأكد من صحتها عملياً! وهذا ما يميزه عن النظريات والفلسفات.

من هذا المنطلق، أؤكد بأنّ جميع المعلومات التي يقدمها الإيزوتيريك، إنما قد جرى التأكد منها في «مختبر الذات الإنسانية». وهذا ما تحقق منه المنتسبون إلى مركز الإيزوتيريك، حيث يتلقون دروساً عملية وتمارين تطبيقية، للتأكد من الحقيقة الكامنة في بواطنهم!

من بين المواضيع الرئيسة التي يعالجها الإيزوتيريك، النفس والذات، والأنا كما يدعوها البعض. لذلك أودّ أن أوضح باختصار الفارق في التسمية.

الفلسفات تتحدث عن الأنا أو الشخصية، وتقصد بها الخصائص الفردية التي تميّز شخصاً عن آخر. فمجمل الصفات الإيجابية والسلبية التي تحدّد شخصية الإنسان، هي الأنا. وهذه تختلف من شخص الى آخر.

علم النفس يتحدث عن نفس وذات (super ego)، وعن رغبات وشهوات. ويقول أيضاً بأن الذات تمثل الفضائل والمناقب، إذ إنّها تنطوي على كل ما هو مثالي وكامل. أما النفس، فهي الشخصية الإنسانية، أو الصفات البشرية التي تنقاد للشهوات حيناً، أو تحاول أن تتقيّد بما تمليه عليها الذات حيناً آخر. فيما الشهوات هي تلك الرغبات والنزوات الحسّية الجسدية، التي لا تنفك تحاول تحقيق رغائبها بأية وسيلة ممكنة.

أما الإيزوتيريك فيقول بوجود نفس بشرية وذات إنسانية، بالإضافة الى العقل، الذي لم يأت على ذكره علم النفس في هذا المجال، إذ ان علم النفس لم يُدرج العقل لا في النفس ولا في الذات. وهذه هي الحلقة المفقودة!

كما وتكشف علوم الباطن الإنساني– الإيزوتيريك، انه حين شعّت الروح من الإله، كان ذلك بدء الوجود الإلهي، وعندما تدرك الروح الأرض، كان بدء الذات الوجودية، وعند اتحاد الوجودين معا، ظهرت النفس البشرية الى حيز الوجود.. وكان ذلك بزوغ الأنا الذاتية – او تعبير الذات الوجودية. هذه الأنا الذاتية ليست سوى انعكاس للأنا الإلهية. انها تثبيت لوجود الإنسان على الأرض، وتعبير لولادة المادة – العنصر الثاني في تكوين الإنسان.

فهذه الأنا الذاتية تكتمل في الأنا التي تعبر عن الوجود الالهي. وهذان العنصران يكوّنان «أنا» واحدة هي النفس البشرية التي تخوّل حدوث هذا الاندماج، والتي تعتبر الحياة البشرية بمثابة الحلقة الفاصلة بين الأرض والسماء، بين الحياة عبر المادة، والحياة في عالم الروح.

إذا، النفس البشرية تمثل تلك المقدرة التي انبثقت من اتحاد القوتين السابقتين. إنها توالد الحياة لحظة اتحاد الذات الوجودية بالوجود الإلهي. وهذه المقدرة هي المحرك الحيوي الذي يجعل من الإنسان روحاً وجسداً، يسعى في سبيل التطور البشري – الإنساني – الروحي على حد سواء. وما الموت سوى تعبير عن انفصال عنصر النفس البشرية عن العنصرين الآخرين..

من هنا، نستخلص أنّ هناك الأنا الإلهية – تعبير الوجود الالهي مع خلق الروح، وهي تجسيد لسائر عناصره وجميع صفاته.. والأنا الذاتية – تعبير الذات الوجودية وهي انعكاس للأنا الإلهية. وأيضاً، الأنا البشرية. وهذه الأخيرة هي ما يتناوله عامة الناس، وأيضاً علم النفس والفلسفة..

■ قبل الخوض في موضوع العقل، نود الإستيضاح عن مفهوم النفس والذات في الإيزوتيريك.. وهل هما يختلفان عن مفهومهما في الفلسفة أو في علم النفس؟

– ربما علم النفس هو الأقرب الى الواقع في هذا الإطار، بالرغم من بعض النواقص والثغرات فيه.

الكيان البشري مكوّن من سبعة أجسام باطنية، أو أجهزة وعي.. كما بات معلوماً لدى المطلعين على أبجدية الإيزوتيريك في مؤلفاته التي تعالج الخفايا وبواطن المعرفة في الإنسان والحياة، والتي تعدت الثمانين كتاباً حتى تاريخه باللغتين العربية والإنكليزية، هذا إضافة إلى المؤلفات التي تمت ترجمتها إلى اللغات الفرنسية والإسبانية والبلغارية والروسية. هذه الأجسام الباطنية أو أجهزة الوعي الخفية تتوزع بين فئات ثلاث: النفس البشرية أو الدنيوية، العقل، الذات الإنسانية أو العليا – بالإضافة الى الجسم الروحي الذي يعتبر، بالتحديد، شعاعاً إلهياً نورانياً!

النفس البشرية هي مجموعة الأحاسيس الجسدية، مجموعة المشاعر والعواطف والصفات والخصائص المكتسبة عبر حيوات الإنسان على الأرض! وهي بالمناسبة، مقر الازدواجية في الإنسان. فالحب والكره، السعادة والحزن، الفرح والغضب، الألم واللذة، المكابرة والتواضع،

■ الحقيقة لا تكمن في الظاهر بل في الباطن

■ الذات الانسانية تردع النفس البشرية عن أعمال السلبية

■ العقل هو الطاقة الوحيدة القادرة على تطوير الوعي

القوة والضعف، إلخ.. جميعها تصدر عن تفاعلات النفس البشرية، وهي ما يميز شخصية إنسان عن آخر. مجموع الصفات هذه، بالإضافة الى طريقة أو منهج التفكير الذي يعتمده المرء، تساهم في بناء الشخصية، فترسم حدودها المسلكية، وتميزها عن شخصية انسان آخر! والجدير التنويه به في هذا السياق، انه ما من نفس بشرية إلا ويتخللها ثغرات.. قد تكون تعبيراً عن المستوى الفكري، او النفسي، او الخلقي، غير المكتمل عند صاحبها، او بسبب ضعف، او مركّبات نقص، او استعلاء.. او نتيجة احدى المصاعب الحياتية التي تعترض طريق الإنسان.. اما إذا كان الإنسان يتمتع بشخصية قوية ذات طابع باطني، فتلك فرصة مهمة لانتهازها وتنمية نواحي الإدراك لديه.. تلك النواحي المتعلقة بوعي كيانه الباطني ومقدراته اللامتناهية..

علماً أنّ الإيزوتيريك هنا يقدم أيضاً تفسيراً مغايراً لما تقوله الفلسفات وعلم النفس حول وعي الباطن، فتشرح حقيقته لتوضح ارتباطه بشخصية الفرد. فوعي الباطن هو لوحة ذبذبية نورانية في ما تعبّر عنه من ايجابيات مكتسبة كوعي فاعل على مر الازمنة، وهو ايضاً لوحة داكنة الملامح في ما تراكَمَ فيه من سلبيات بالممارسة منذ أن نشأت السلبية.. فهذه اللوحة الذبذبية الباطنية هي «الشكل» او «ملامح» الشخصية الإنسانية الحالية السائرة نحو اكتمال وعيها بعدما تذوي السلبية من ثناياها، وتتحوّل الممارسة الى سعي حثيث وكفاح في سبيل التقدم والارتقاء، مضمّخة هدف الوعي بإرادة الخير العام..

أما بالنسبة للذات الإنسانية، فهي القدوة حقاً، هي الحقيقة التي تحوي كل ما هو خيّر ومثالي، جميل كامل وايجابي! والذات الإنسانية لا تنفك تبعث برسائلها، بإيحاءاتها، الى النفس البشرية لتردعها عن أعمالها السلبية، أو أفكارها الخاطئة. لكنها قلّما تلقى رداً أو تجاوباً من النفس البشرية، التي يبدو دائماً انها هي المسيطرة، هي المهيمنة والمتحكّمة في تصرفات الإنسان وأفكاره!

ان ما تقدم يفسر مقولة «أمراض نفسية» وليس «أمراضاً ذاتية».. فالذات هي النقاء والصفاء والإيجابية المطلقة، فلا تعرف السلبية ولا المرض.. بل النفس هي التي تمرض بفعل السلبية، فيمرض بالتالي الجسد.

أما فيما خصّ العقل، فهو يقوم بدور صلة الوصل بين النفس والذات. فالعقل هو الذي يعقل، أي يربط بينهما. ولهذا السبب يقسم العقل قسمين: أحدهما ينتمي الى النفس، ويعمل على تحقيق رغباتها وهذا ما يسمى بالقسم البشري او فكر المنطق العملي – الحياتي.. والآخر يخص الذات، ويحاول نقل رسائلها الى النفس. هو فكر – ذكاء المنطق السامي!

د. جوزف مجدلاني: علم النفس لم يذكر شيئاً عن دور العقل بين النفس والذات

وهذا ما يميّز شخصاً عن آخر. إذ نجد إنساناً خيّراً بطبيعته، محبّاً، معطاءً، يرغب في المساعدة وتبادل الآراء، والإنفتاح على كل جديد.. فيما شخص آخر نلقاه رافضاً، مبغضاً، متعصباً، أنانياً، وشريراً! الشخص الأول يتمتع بنفس وعقل واعيين، فيستمع الى رسائل الذات الإنسانية، وينفذ مضمونها! فيما الشخص الثاني، يرفض الوعي والإنفتاح على نصائح الذات، فيغلق نفسه في نزوات النفس البشرية، وتحقيق مآربها، وهو يغوص في مجاهلها وظلماتها!

■ أجد ان هذه المعلومات متقاربة ومعلومات علم النفس. فهل من فارق بينهما؟

– طبعاً، ثمة ثلاثة فوارق:

الأول، إن علم النفس لم يذكر شيئاً عن دور العقل بين النفس والذات. علماً أن دور العقل هو الأساس والأهم من بين جميع القوى. إذ ان باستطاعته توجيه النفس، تقويتها أو إضعافها، وفق المرء مستوى وعي المرء وارادته. وعلم النفس لم يفرق ايضاً بين الفهم السامي والفهم العادي. فالأول مقدرة الوعي على الاستيعاب.. فيما الثاني طاقة الفكر على الادراك.. والفارق بين مدارك انسان وآخر هو مستوى الوعي.

والفارق الثاني، هو أن علم النفس يفرّق بين النفس أو الشخصية من جهة، وبين الصفات السلبية والشهوات في الكيان.. غير أن لا فارق بينهما في الواقع. لأن النفس تحتوي على السلبيات وعلى الإيجابيات. فإما أن تتغلب الإيجابيات، فيكون العقل في هذه الحال واعياً، ناشطاً، ناجحاً في تأدية دوره.. وإما أن تهيمن السلبيات، فيميل الفكر الى التحايل وألاعيب الفكر.. أو يصبح كسولاً فاشلاً في توعية النفس وإرشادها الى شاطئ الأمان. فالتحايل في نظر الايزوتيريك ليس من بين اسوأ السلبيات الفكرية

■ قدر كل انسان التكامل في وعيه

■ مصير العقل ان ينفتح على مداه

وحسب، وإنما هو الارضية او الخلفية التي ترتكز عليها السلبيات كافة. اي إنها السلبية الاساس التي جعلت النفس البشرية غير قادرة على التطور على مر الازمنة.. وهي السلبية التي ستكون المسبب للامراض في المستقبل، فهي «سرطان المستقبل».

أما الفارق الثالث، فيكمن في وسيلة التطبيق العملي لتوعية النفس وجعل العقل يتحكم فيها، والإصغاء الى نداءات الذات الإنسانية. وهذا ما يفتقر إليه علم النفس، فيما الإيزوتيريك يشرحه في مؤلفاته ويقدمه في تمارين عملية الى المنتسبين إليه.. هذا إلى جانب الوسيلة الفعّالة التي يشدد عليها الإيزوتيريك دائما ألا وهي «التعلم الذاتي» الذي يمثل جوهر الحركة الارتقائية المتجددة، ويمثل ايضا الفارق الدقيق بين الساعي الى الارتقاء والتطور في الوعي، والشخص الذي ينتظر مدّ الوعي ان يصل اليه. والمثال العملي حول التعلم الذاتي هو شخص فهمَ التجارب التي خاضها، وتعلم منها ووعى ابعادها فتغيّر، إذ لمس نتائج مسلكياته القديمة من سوء فهم ونفور او صراع بينه وبين محيطه..

من هنا، نرى ان التعلم الذاتي يشحذ الشفافية في النفس.. والشفافية تساعد على استدراك ما يصدر عن النفس البشرية من مسلكيات تفكك الاواصر مع المحيط. فالشفافية تعني الوضوح الفكري في استشفاف صورة وعي الباطن الذبذبية المنعكسة في وعي الظاهر، استشفافها كحركة عادية في النفس ترفعها الى مستوى الحركة المتجددة. ذلك يعني ملاحظة تأثير المسلك في الآخر بدقة.. ولهذا من المهم على الساعي الى توعية النفس، والى تعميق الاواصر بين وعي الظاهر ووعي الباطن، ترسيخ ثلاثية حياتية اساسية في الحياة اليومية ألا وهي ثلاثية صداقة – حب – زواج. لأنها باختصار ترتكز على إدخال الحركة الارتقائية المتجددة الى هذه الروابط، التي تفتح وعي الباطن وتذيب مع مرور الوقت المسلكيات التي تتسبب بالتنافر بين الافراد، الى ان تتلاشى كلياً..

■ هل تقصد بذلك أن في مقدور المرء التحكم في شخصيته، في عقله وفي نفسه بموجب ارشادات ذاته؟!

– هذا ما يعلمه الإيزوتيريك، ويؤكده عبر تمارين تطبيقية، وقد تحقق طلاب الإيزوتيريك من ذلك بأنفسهم.

العقل هو صلة الوصل بين النفس والذات، كما ذكرنا. لذلك، يعتبر العقل الطاقة الوحيدة القادرة على تطوير الوعي. والتجربة خير برهان.

لنأخذ الحزن أو البؤس أو الخوف، أو سواها مثالاً على ذلك! ألا يستطيع العقل أن يتحكم في هذه المشاعر السلبية؟ بل، ألا يستطيع المرء أن يتغلب على هذه الصفات السلبية بواسطة الفكر والتفكير بدلاً من الرضوخ لها؟!

أليس في مقدور العقل كبح جماح العصبية مثلاً، أو الغضب، إن فكّر المرء بروية وتأنٍ.. بدلاً من الإنسياق وراء الإنفعالات السلبية، والظنون الواهمة والرغبات الضارة؟!

وطالما أنّ العقل قادر على ذلك، لمَ لا يلجأ الإنسان الى مقدرات عقله للتحكم في ما يقلقه أو يشعره بالخوَف أو الظلم، أو الغضب أو الذل؟! لماذا يجب على المرء أن يستسلم لنزواته؟! هل قدر الإنسان أن يرضخ لضعفه؟ من الضروري هنا الاشارة الى أن للعقل الدور الأساس في تقوية الشخصية وتشذيبها من أدرانها، تسيّره إرادة المرء القوية.. والتي بدورها تحركها حرية الإختيار المقدسة لدى كل انسان..

■ وماذا عن التحايل، كيف يتمكّن المرء من التخلص من هذه السلبية الأمّ؟

– السرّ، كل السرّ في الالتزام.

فالالتزام هو الكاشف الاكبر لمكامن التحايل في النفس، بالتالي لكثافة الحجب التي تغشّي مدارك الفرد وتستر عنه حقيقة طاقاته النفسية الكامنة. بالتالي، كي تتنقى النفس البشرية من التحايل ومشتقاته سواء كان مبطناً او معلناً، او ما بين بين، فأكثر ما تحتاج إليه هو «تفعيل الالتزام». كيف؟ فذلك من خلال الإنفتاح على الروابط الإنسانية بكل اشكالها وانواعها إذ إنها تمثل اولاً واخيراً اوجه الالتزام.

فإذا ما كان الحب اختراقاً لنواة التحايل في النفس، فإن الصداقة تفتيت للضبابية والكثافات التي انشأها التحايل. فيما الزواج اقتلاع منهجي لكل ما تم كشفه تحت مجهر الحب والصداقة..

حقاً، إنّ النفس البشرية كبيرة في امكاناتها، صغيرة في ارادتها، وشرسة في رغباتها.. ولهذا على النفس التي تبغي الارتقاء او تفتيح المعرفة فيها ان تمتلك وعياً متفاعلاً وطاقات متألقة الكفاح والالتزام الذاتي، الى جانب الصدق وحسن التصرف. فالكفاح هو تعبير الارادة النافذة، والالتزام لغة الصدق التي تترجمها النفس في انجازات كاملة وتجارب مكتملة بعد تنظيفها من التحايل وألاعيب الفكر، والى ما هنالك من سلبيات أخرى..

■ ماذا سيكون مصير النفس في المستقبل، وما هو قدر الانسان؟

– قدر كل انسان التكامل في وعيه.. ومسار هذا التكامل يرتقي من مسار الجسد الى مسار النفس فالذات ليكتمل في الروح.. إذ إنه على حدود التكامل فالاكتمال ثم الكمال، يتحّد الظاهر مع الباطن بحيث يتحوّل (وعي) الباطن الى ظاهر لمستوى اللاوعي الذي يليه (اي مستوى الوعي الكامن بالقوة بالنسبة لوعي الباطن السابق)، فيما يتحوّل هذا الاخير الى «وعي باطن جديد» على مسار تفتح ارقى في الوعي.

هذا هو هدف الإنسان على الأرض، أن يعي إنسانيته الهاجعة في أعماقه.. بكلمات أخرى، مصير النفس البشرية أن تتحد بصفات الذات.. ومصير العقل أن يتفتح على مداه.. فعندها تكون الروح قد تفتحّت على صفاتها الروحية.. بذلك تنتهي مهمة الإنسان على الأرض، ويتحقق هدف الوجود.. فيعود الإنسان الى مصدره – أي يتحد الشعاع بالنور الذي انبعث منه!..

■ هل من كلمة أخيرة؟!

– مهما تكن المعرفة متسامية فإن لم يتناولها الفكر بانفتاح، وإن لم يستسغها المنطق وتهضمها المدارك، تظل في حيز الجدل العقيم والنظريات المتناقضة والآراء المختلفة.. ومهما تعمق المرء بعالم الباطن، وتوغل في طبيعته، تبقى معرفته به ضئيلة. اما دليله لفهمه فيبدأ من توسيع وعيه في إدراك واختبار خفايا النفس البشرية وطبيعة اجسامه الباطنية – أجهزة الوعي.. فهذا ما يساعد انسان اليوم على تكوين صورة تشبيهية تعكس طبيعة الروح وتبسّطها فتفهمها المدارك. فإن انت وضعت مرآة في مكان بعيد جداً عن شيء ما.. ستعكس المرآة صورة ذلك الشيء إنما أصغر من حجمه بكثير وغير واضحة المعالم، مما سيصعب عليك معرفة تفاصيله. لكنك ستكوّن مفهوماً أولياً عنه من خلال صورته الواهية.. بذلك يمكن للمرء ان يملك مفهوماً مبسطاً عن الروح من خلال انعكاسها في أجهزة وعيه..

والعناية الإلهية ستسدد خطى الإنسان على مسار تفتيح وعيه وإدراك أبعاده الباطنية.

حوار: ل.ح